يذهب قوم الى أن البشر قد يستغنون عن الدين في انتظام شملهم، وقوام مدنيتهم، وان الانسان يمكن ان يصل بعقله الى كل مافيه سعادته من غير وحي الهي، ولا ارشاد سماوي، اكتفاء بالعقل والمشاعر والوجدان والالهام، التي وهبها مدبر الكون لكل انسان، وأعظم شبهة عند هؤلاء على انكار الوحي زعمهم انه لاحاجة اليه فاذا قام البرهان ونهضت الحجة على حاجة البشر الى الوحي وانه كمال لايتم نظام العالم الانساني بدونه يذعنون الى أن صانع الكون الحكيم لا يبخل عليهم في ايتائهم ماهو مكمل لوجودهم النوعي ومتمم لسعادتهم الانسانية

ولما كان المنار يدعو الى المدنية مع التمسك بالدين أحببنا ان نتحف قراءه من مسلمين ونصارى ويهود بما جاء في «رسالة التوحيد» من بيان الحاجة الى الوحي ووقوعه فهو البيان الكامل، والتحقيق الذي لم تأت بمثله الاوائل، وناهيك بحكمة مؤلف تلك الرسالة ورسوخه في العلوم الدينية، مع وقوفه التام على حقيقة المدنية، قال حفظه الله تعالى

حاجة البشر إلى الرسالة

سبق لك في الفصل السابق ما يهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه مايجب على المؤمن اعتقاده في الرسل، والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله الى بيان الحاجة اليهم، وهو معترك الافهام، ومزلة الاقدام، ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام، ولسنا بصدد الاتيان بما قال الاولون، ولا عرض ماذهب اليه الآخرون، ولكنا نلزم ما التزمناه في هذه الوريقات من بيان المعتقد، والذهاب اليه من أقرب الطرق، من غير نظر الى ما مال

اليه المخالف، أو استقام عليه الموافق، اللهم الا إشارة من طرف خفي، أو إلماعا لا يستغني عنه القول الجلي

والكلام في بيان الحاجة الى الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان لها حياة أخرى، بعد الحياة الدنيا، تتمتع فيها بنعيم، أو تشقى فيها بعذاب أليم، وان السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية، معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية، سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات، أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ملليين وفلاسفة الا قليلاً لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء، وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء، وان اختلفت مذاهبهم في تصوير ذلك البقاء، وفيما تكون عليه النفس فيه، وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه، فمن قائل بالتناسخ في اجساد البشر أو الحيوان على الدوام، ومن ذاهب الى التناسخ ينتهي عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال، ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو ما به شقوتها، ومنهم من رأى أنها تتعلق باجسام أثيرية، ألطف من هذه الاجسام المرئية، وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التي تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم. وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما لا تكاد تحصى وجوهه

هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها

وجاهلها، وحشيها ومستأنسها، باديها وحاضرها، قديمها وحديثها، لا يمكن ان يعد فضلة عقلية، أو نزغة وهمية، وانما هو من الإلهامات التي أختص بها هذا النوع فكما ألهم الانسان أن عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا — وان شذ افراد منه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد في عمل ما أو الى انه لا يمكن للعقل ان يوقن باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول بل قالوا ان لا وجود للعالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتى في انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء في صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة وأس البقاء الى الاجل المحدود — كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وان لم يدرك كنهه. ذلك إلهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية، مهيأة لدرجات من الكمال لا تحدها اطراف المراتب والغايات، معرضة لآلام من الشهوات ونزعات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاهواء والحاجات، وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد، ولا تنتهي عند حد. إلهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى ان واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف، فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات، وآلام ولذائذ وكمالات، لا يصح ان يكون بقاؤه قاصراً على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدي وما عسى أن تكون عليه، متى وصبت اليه، وكيف الاهتداء وأين السبيل، وقد غاب المطارب وأعوز الدليل، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامد لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار، في تقويم الانظار وتعديل الافكار، واصلاح الوجدان، وتثقيف الاذهان، ولا نزال الى الآن من عم هذه الحياة الدنيا في اضطراب لا ندري متى نخلص منه، وفي شوق الى طمأنينة لا نعلم متى ننتهي اليها

هذا شأننا في فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب، هل فيما بين أيدينا من الشاهد، معالم نهتدي بها الى الغائب ؟ وهل في طرق الفكر ما يوصل كل أحد الى معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها، وبأن لا مندوحة عن القدوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما أعد له فيها، والشؤون التي لا بد أن يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه، أو الى معرفة يد من يكون تصريف تلك الشؤون ؟ هل في أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك، وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي المشاعر ولا اشتراك بينهما الا فيك انت فالنظر في المعلومات الحاضرة، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة

أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الانسان على قاعدة الإرشاد والتعليم، الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، علمه

الكلام للتفاهم، والكتاب للتراسل، أن يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يُمدُّ لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطر السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والامانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب باذنه، ويعلمون ماسيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم من الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها، ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفي على العقول من شؤن حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة مالا بد لهم من علمه، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن متناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الاعمال ماهو مناط سعادتهم وشقائهم، في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، اللاحق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله، ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة، ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة، ويتم الاقناع بصدق الرسالة، فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين

لاريب ان الذي أحسن كل شيء خلقه، وأبدع في كل كائن صنعه، وجاد على كل حي بما اليه حاجته، ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلاً من

خلقه ، يكون من رأفته بالنوع الذي أجاد خلقه ، وأقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ، أن ينقذه من حيرته ، ويخلصه من التخبط في أهم حياته ، والضلال في أفضل حاليه ؛

يقول قائل ولم لم يودع في الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ؟ ولم يضع فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية في الحياة الآخرة ؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم ؟ وهو قول يصدر عن شطط العقل ، والغفلة عن موضوع البحث ، وهو النوع الانساني . ذلك النوع على مابه ومادخل في تقويم جوهره من الروح المفكر ، وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف أفراده ، وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه ، وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال ، فلو أُلهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثاني) في بيان الحاجة الى الرسالة مؤخذة من طبيعة الانسان نفسه ، أرتنا الايام غابرها وحاضرها ان من الناس من يعتزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الى بعض الغابات أو الى رءوس الجبال ، ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان ، يتغذى بالاعشاب وجذور النبات ، ويأوي الى الكهوف والمغاور ، ويتقي بعض العوادي عليه بالصخور والاشجار ، ويكتفي من الثياب بما يخصف من ورق الشجر أو جلود الهالك من حيوان البر ، ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ، ولكن مثل هذا مثل النحلة تنفرد عن الدبر وتعيش عيشة لا تتفق مع ما قدر لنوعها . وانما الانسان نوع من

تلك الانواع التي غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات على ان يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه، وللمجموع من العمل ما الغنى للواحد عنه في نمائه وبقائه، وأودع في كل شخص من أشخاصها شعور ما بحاجته الى سائر أفراد الجماعة التي يشتملها اسم واحد، وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في بيانه وكفاك من الدليل على ان الانسان لا يعيش الا في جملة ما وهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعدا لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار الى تفاهم بين اثنين أو اكثر الا الشهادة بأن لا غنى لاحدهم عن الآخر

حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الاهل والعشيرة ثم الى الامة والى النوع بأسره وأيامنا هذه شاهدة على ان الصلة التابعة للحاجة قد تم النوع كما لا يخفى. هذه الحاجة خصوصاً في الامة التي حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عن سواها حاجة في البقاء، حاجة في التمتع بمزايا الحياة، حاجة في جلب الرغائب ورفع المكاره من كل نوع

لو جرى أمر الانسان على أساليب الخلقة في غيرها لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده، عامل يشعر كل نفس أن بقاءها مرتبط ببقاء الكل فالكل منها بمنزلة بعض قواها المسخرة لمنافعها ودرء مضارها، والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب، هي الدافع

لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر، التاهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر، فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظاً لنظام الامم وروحاً لبقائها وكان من حالها أن تكون ملازمة للعاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الى من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولهاً وعشقاً

لكن كان من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذا كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ما هو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها في الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً في روح المحبوب وشمائله التي لا تفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول في نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعارض ولوحظ في الملاقة بينهما تحولت المحبة الى رغبة في الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة إما سلطان القوة أو ذلة المخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين

(ستأتي البقية)

اخبار الاستانة

(جلاء جنود الدولة عن تساليا)

كان جلاء الجنود السلطانية المظفرة عن تساليا بغاية الادب والانتظام الذي لم يعهد له نظير من أعظم جنود الامم المتمدنة وقد جرت مبادلة الوداع بين القائد العظيم صاحب الدولة أدهم باشا وأركان حربه وبين قناصل الدول ووجهاء الاهالي وقد أعجب الاهالي بحسن معاملة الجيش الفاتح الظافر وودّعوا الضباط بكل احترام وقدّموا لهم الهدايا شكراً على